**القديس كيرلس بابا الإسكندرية ونسطور بطريرك القسطنطينية**

**لنيافة الأنبا بيشوى**

لم يكن الصراع بين القديس كيرلس بابا الإسكندرية ونسطور بطريرك القسطنطينية صراعاً فلسفياً بل كان صراعاً سوتيرلوجياً[[1]](#footnote-2) لكن هذا لا يمنع أنه دافع دافعاً ثيؤلوجياً[[2]](#footnote-3) عن الحقائق الإلهية أيضاً، لأن هذا هو الإيمان السليم.

معنى هذا أن القديس كيرلس الكبير لم يقصد أن يستعرض قدراته فى فهم اللاهوت، فى أنه يؤمن بتجسد الكلمة، وأن الله الكلمة هو الذى تجسد، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت إتحاداً طبيعياً j (إينوسيس كاتا فيزين) وأقنومياً V (كاث إيبوستاسين) وكل تعليمه الذى دافع به عن العقيدة.

إن نقطة الخطر هى ضرب عقيدة الفداء، **فإذا لم يكن الله هو الذى خلّصنا على الصليب كيف يتم الفداء**؟ من يستطيع أن يوفى خطايا العالم كله؟ من يقدر أن يدّمر الجحيم؟ من يقدر أن يسحق الموت؟ من يقدر أن يهزم إبليس وكل مملكته؟

لقد قدّم السيد المسيح هذا المفهوم بطريقة بسيطة حينما قال "كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ" (مت12: 29). والمقصود بكلمة "القوى" هو ما نقوله فى الثلاث تقديسات "**قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا ارحمنا**". هو "لا يموت" بحسب لاهوته، وقد صلب ومات وقام بحسب إنسانيته. لذلك قيل "لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ **عَجِيباً** مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ" (اش9: 6).

**لماذا سمى** "**عجيباً**"؟

سمى "عجيباً" لأنه كان ميتاً بحسب الجسد وحياً بحسب لاهوته وبحسب روحه الإنسانى. وقد قال السيد المسيح: "أَنَا إِلَهُ إِبْراهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. **لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ**" (مت22: 32). فأكّد أن الروح الإنسانى لا يموت.. هذا طبعاً يختلف عن الموت الروحى الخاص بالخطاة.

هو فى نفس الوقت مولود من امرأة وليس مولوداً من امرأة.. هو ينعس وينام فى السفينة وفى نفس الوقت "لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ" (مز121: 4).. متألِّم وغير متألِّم فى نفس الوقت..

قال **القديس كيرلس الكبير** فى رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية: "إن كلمة الله كما قلت هو غير متألم فى طبيعته الخاصة لكنه تألم فى جسده الخاص به." وقال **القديس أثناسيوس** فى رسالته إلى إبيكتيتوس الفقرة 6: "يا للعجب فإن الله الكلمة المتجسد هو متألم وغير متألم بنفس الوقت"[[3]](#footnote-4).. لماذا؟

لأنه هو متألم بحسب الجسد أو بحسب ناسوته، وهو نفسه غير متألم بحسب لاهوته فى نفس الوقت.. وهو نفسه مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته، ومولود من امرأة فى ملء الزمان بحسب ناسوته.. فلماذا يرفضون فقط ولادته من العذراء!؟

إننا نوجّه لمن يرفضون لقب "والدة الإله" للسيدة العذراء السؤال التالى:

**كيف يكون ميتاً وحياً فى آنٍ واحد؟**

نحن نقول "قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا"، "الذى لا يموت" وقد "صلب عنا" ومات. ثم نقول "قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت الذى قام **من الأموات** ارحمنا" هو "لا يموت" و"قام من الأموات" أى مات ولم يمت، وتألم ولم يتألم، ولد من امرأة ولم يولد من امرأة.. أى ولد من امرأة بحسب ناسوته، ولم يولد منها بحسب لاهوته، لأن الابن الوحيد الجنس مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته.

الرد الذى كان يجب على نسطور أن يقوله للأريوسيين هو: أن الله الكلمة لم يمت على الصليب بحسب لاهوته ولكنه مات بحسب الجسد.. مثلما نقول فى صلاة الساعة التاسعة: "**يا من ذاق الموت بالجسد**... من أجلنا نحن الخطاة". ولكنه لكبريائه –أى نسطور- لم ينصت إلى صوت الحقيقة الذى أنذره به القديس كيرلس عمود الدين ولا إلى مجمع أفسس المسكونى 431م، ومؤيداً (المجمع) من البابا كيلستين، بابا روما فى ذلك الزمان، الذى ساند القديس كيرلس بكل إمكانياته، وعقد مجمع فى رومية 430م لحرم تعليم نسطور، مثلما عقد البابا كيرلس عمود الدين مجمعاً فى الإسكندرية 430م أصدر فيه الحروم الإثنى عشر ضد التعاليم النسطورية وأرسلها إلى نسطور فى الرسالة الثالثة منه إليه (من البابا كيرلس إلى نسطور)، وهى التى اعتمدها المجمع المسكونى فى أفسس، حينما قرئت فى المجمع.

وقد رفض نسطور أن يحضر إلى المجمع مع أنه جاء إلى أفسس. وقال للأساقفة الذين ذهبوا لمقابلته قبل انعقاد المجمع:

***"لن أدعو أبداً طفلاً عمره شهرين أو ثلاثة الله"*.[[4]](#footnote-5)**

وأكّد ذلك قبل هذا الوقت فى رسالته إلى بروكلس الأسقف، بكلمات كثيرة وشروحات مطولة.[[5]](#footnote-6)

هنا وننتقل إلى قضيةٍ كبرى:

**كيف نقول أن الله مات على الصليب؟**

إنها عبارة تبدو مستفزة للبعض ولكنها تحتاج إلى شرح.. إن اللاهوت لم يمت على الصليب، واللاهوت لم يولد من العذراء، واللاهوت لم يتألم، ولم يقم من بين الأموات، ولم يصعد إلى السماء لأنه مالئ الوجود كله وكائن فى كل مكان، ولذلك نقول فى القداس الغريغورى للسيد المسيح: "وعند صعودك إلى السماوات **جسدياً** وأنت مالئ الكل بلاهوتك".. أى أن صعود السيد المسيح كان بحسب الجسد وليس بحسب لاهوته، كما أن آلامه كانت بحسب الجسد وليس بحسب لاهوته، وموته كان بحسب الجسد وليس بحسب لاهوته، وميلاده من العذراء مريم كان بحسب إنسانيته وليس بحسب لاهوته.

قال القديس كيرلس الكبير إن الله الكلمة له **ميلادان**:

**الميلاد الأول**: من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته..

**الميلاد الثانى**: فى ملئ الزمان من العذراء مريم بحسب إنسانيته بلا خطية "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو1: 35).

وفى الرسالة رقم 40 فى عداد الرسائل من **القديس كيرلس الكبير** وإليه كتب القديس عن الكلمة المتجسد ربنا يسوع المسيح ما يلى:

"إنه كامل كإله وكامل كإنسان، وقد ولد قبل الدهور من الآب حسب لاهوته، وفى الأيام الأخيرة، لأجلنا ولأجل خلاصنا ولد من مريم العذراء القديسة حسب ناسوته، وأنه مساوى للآب فى الجوهر بحسب لاهوته ومساوى لنا فى الجوهر بحسب ناسوته."

o[ti te,leioj( w`j Qeoj( te,leioj de. kai. w`j a;nqrwpoj) to.n pro. aivw,nwn me.n evk tou/ patroj. gennhqe,nta( kata. th.n qeo,thta( evpV evscatwn de, tw/n h`merw/n diV h`ma/j( kai. dia. th.n h`mete,ran swthri,an( evk Maria,j th/j a`gi,aj parqe,no.u( kata. thn avnqrwpo,thta) o`moou,sion tw/| patri. to.n auvto.n kata. th.n qeo,thta( kai. o`moou,sion hvmi/n kata. th.n avnqrwpo,that)[[6]](#footnote-7)

وكتب **القديس ساويرس الأنطاكى**:

"حيث أن المسيح الواحد هو طبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة المتجسد من لاهوت وناسوت، يتبع ذلك أنه هو نفسه فى نفس الوقت يُعرَف بأنه مساوى للآب فى الجوهر من حيث اللاهوت ومساوى لنا فى الجوهر من حيث الناسوت. هو نفسه ابن الله وابن الإنسان. لذلك هو ليس ابنين لكنه واحد ونفس الابن".

“Since the one Christ is one nature and hypostasis of God the Word incarnate from Godhead and manhood, it necessarily follows that the same is known at once as coessential with the Father as to Godhead and coessential with us as to manhood. The same is the Son of God and the Son of man. He is not, therefore, two sons, but he is one and the same son.” [[7]](#footnote-8)

وكتب أيضاً:

"الله الكلمة هو أقنوم واحد. وقد وحّد لنفسه أقنومياً جسداً واحداً خاصاً له نفحة نفس عاقلة ومدركة اتخذها من مريم **والدة الإله**".

“God the word is one Hypostasis. He united to himself hypostatically one particular flesh, which was endowed with a rational and intelligent soul, and which was assumed from Mary Theotokos.” [[8]](#footnote-9)

إن أهم ما ركّز عليه القديس كيرلس والقديس ساويرس الانطاكى هو أن السيد المسيح لم يتخذ شخصاً من البشر بل اتخذ طبيعة بشرية كاملة، روحاً وجسداً، بلا خطية. لأن شخص الله الكلمة هو هو نفسه شخص يسوع المسيح.

قال القديس كيرلس فى الرسالة العقائدية (رقم 4) الفقرة 7 ما يلى: "لأن الكتاب لم يقل أن الكلمة قد وحّد شخصاً من البشر بنفسه، بل أنه صار جسداً والكلمة إذ قد صار جسداً لا يكون آخر. إنه اتخذ دماً ولحماً مثلنا. إنه جعل جسدنا خاصاً به، وولد من إمرأة بدون أن يفقد لاهوته ولا كونه مولوداً من الله الآب".

وكتب أيضاً فى رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية الفقرة 3: "إننا نقول أن كلمة الله الوحيد الجنس، إذ هو روح كإله، بحسب الأسفار المقدسة تجسد وتأنس من أجل خلاص البشر،... بأن أخذ جسداً طاهراً من العذراء القديسة، جسداً محيياً بنفس عاقلة، وهكذا أعلن أن الجسد هو جسده من اتحاد لا يدرك وبلا اختلاط ولا يوصف على الإطلاق، ليس كجسد شخص آخر بل جسده هو الخاص جداً به His very own.

كما قال القديس أثناسيوس فى كتاب "تجسد الكلمة" الفصل 13 الفقرة 7: "لقد جاء كلمة الله فى شخصه الخاص" The Word of God came in his own person[[9]](#footnote-10)

لذلك نقول أن الله الكلمة لم يتخذ شخصاً من البشر حينما تجسد.. أى أن الله الكلمة قد شخصن الطبيعة البشرية التى اتخذها بلا خطية من العذراء مريم، بفعل الروح القدس، شخصنها فى شخصه هو نفسه أى أعطاها شخصه الخاص (أى شخص الله الكلمة). والمقصود بالطبيعة البشرية أى طبيعته الخاصة به هو وحده، وليس الجنس البشرى كله. لذلك فالسيد المسيح هُوَ هُوَ نفسه الله الكلمة، وهُوَ هُوَ نفسه الإنسان يسوع، كما قال القديس بولس الرسول: "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب8:13).

وقد جمع معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين فى عبارة واحدة أن السيد المسيح هو الله وهو العبد الممسوح من الله. فيا للعجب!!

كتب: "وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ. وَ**أَمَّا** **عَنْ الاِبْنِ**: كُرْسِيُّكَ **يَا اللهُ** إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ **اللهُ إِلَهُكَ** بِزَيْتِ الاِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ" (عب7:1-9).

هو هنا يقارن بين الملائكة والسيد المسيح، فيقول عن الملائكة "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ" أى أن الله يصنع الملائكة أى يخلقهم، وهم أرواح وخدّام لهيب نار... "**وَأَمَّا عَنْ الاِبْنِ**" وهذه العبارة تؤكد أنه يختلف عن الملائكة، فيقول "كُرْسِيُّكَ **يَا اللهُ**"، بمعنى أن الابن هو الله.. وبعد ذلك يقول للسيد المسيح "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ **اللهُ إِلَهُكَ**". فى البداية يقول له "يَا اللهُ" ثم يقول "مَسَحَكَ اللهُ". "الله" فى العبارة الأولى هى عن الابن و"الله" فى العبارة التالية واللاحقة لها عن الآب. لكن كيف يكون الآب إلهه؟ هذا لأنه أخذ شكل العبد حينما تجسد وصار هو نفسه إنساناً حقيقياً.

هذه العبارة ذُكر فيها عن الابن أنه هو الله، وذكر فيها عن الآب أنه هو الله الذى مسح الابن المتجسد بالروح القدس فى يوم عماده فى نهر الأردن. لأن الابن المتجسد أخذ شكل العبد و "وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ" (فى 2: 8)، فمسح الآب الابن من جهة ناسوته. لذلك حينما فتح السفر من إشعياء فى المجمع فى كفر ناحوم وقرأ فيه بنفسه قال عن نفسه: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي" (لو 4: 18). ثم قال "إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ" (لو 4: 21) إلا أن اليهود الحضور فى المجمع لم يعجبهم هذا الكلام.

مسحه الآب بالروح القدس ملكاً وكاهناً ونبياً... وهو أيضاً "رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ" (رؤ17: 14)، وهو رئيس الكهنة الأعظم (انظر عب 4: 14) ومنشئ الكهنوت ومؤسسه، وهو مرسل الأنبياء (انظر خر 3: 2 و10 و12 و13 و14 و15). ولكنه فى تواضعه قَبِلَ المسحة، ولكنها كانت مسحة ليس مثلها مسحة أى لا تساويها مسحة. لذلك قال له "أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ".

هناك رئاسة كهنوت للأب الأسقف ورئاسة الكهنوت العليا للأب البطريرك ولكن السيد المسيح وحده هو "رئيس الكهنة الأعظم".

أهم ما أثبته القديس كيرلس فى صراعه ضد النسطورية هو أن الله الكلمة لم يتخذ شخصاً من البشر، ولكنه هو بنفسه تجسد من أجل خلاصنا. وهذا مطابق لما ورد فى قانون الإيمان الذى ردده نسطور ولم يعمل به: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور."

**كيف ولد يسوع المسيح من الآب قبل كل الدهور؟**

إن يسوع قد ولد من العذراء مريم، ولكن لأن الذى ولد من الآب هو نفسه الذى ولد من العذراء نقول أن يسوع ولد من الآب قبل كل الدهور، لأنه هو نفسه وليس آخر.

"نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق (أى من حيث لاهوته ومن حيث شخصه)، له نفس الجوهر مع الآب (أى واحد ومساوى للآب فى الجوهر)" هذا كله عن الله الكلمة طبعاً فكيف قيل عن يسوع إلا لأن يسوع هو الله الكلمة؟

واستطرد قانون الإيمان "**هذا الذى** من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس".. وعبارة "**هذا الذى**" هى مفتاح القضية، لأن المولود من الآب قبل كل الدهور هو هو نفسه الذى من أجلنا تجسد وولد من العذراء. لهذا دعيت العذراء "والدة الإله" j (ثيئوتوكوس)، لأن الذى ولد منها يسوع المسيح هو نفسه ابن الله الوحيد، هو نفسه المولود من الآب قبل كل الدهور، هو نفسه إله حق من إله حق، إلخ.

والعجيب أن نسطور كان يردد قانون الإيمان النيقاوى-القسطنطينى ولم يرفض مجمع نيقية المسكونى الأول 325م ولا مجمع القسطنطينية 381م.

**مثال لغوى:**

إذا قام الأستاذ فى حصة اللغة وقال ما يلى:

*ضُرب جسد جرجس*..

ثم سأل السؤال التالى:

س1: **ما** الذى ضُرب؟

تكون الإجابة:

ج: جسد جرجس.

ثم سأل سؤالاً ثانياً:

س2: **من** الذى ضُرب؟

فتكون الإجابة:

ج: جرجس.

الآن سوف ننتقل من المثال اللغوى إلى اللاهوت العقائدى، ونتكلم عن ميلاد الكلمة المتجسد فنقول النص التالى:

***ولد جسد الله الكلمة من العذراء مريم..***

ثم نسأل:

س1: **ما** الذى ولد من العذراء مريم؟

فتكون الإجابة:

ج: جسد الله الكلمة.

والسؤال الثانى:

س2: **من** الذى ولد من العذراء مريم؟

إجابته:

ج: الله الكلمة.

لذلك نقول أن الذى ولد من العذراء مريم هو الله الكلمة أى ابن الله الوحيد.

وبناءاً على ذلك، نصلى فى القداس الإلهى ونقول: "وبالأكثر القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين **والدة الإله** **j (ثيئوتوكوس)** القديسة الطاهرة مريم التى ولدت الله الكلمة فى الحقيقة".[[10]](#footnote-11)

لذلك نحن بملء الفم ندعو العذراء "**والدة الإله**".

**شرح من خلال تعليم القديس كيرلس:**

قال القديس كيرلس فى رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية الفقرة 3 أن الله الكلمة قد اتخذ طبيعته البشرية من العذراء القديسة مريم وجعلها "خاصةً به جداً" His very own (هذه العبارة فيها توكيد شديد لكى يفهم القارئ أو السامع أن هذا هو جسد المسيح الخاص جداً، وليس الجسد بمعنى الكنيسة التى هى عامة المؤمنين، لكن الجسد الإلهى الخاص به وحده).

وكل ما ينسب إلى جسده الخاص ينسب إليه. فمع أنه غير متألم بحسب طبيعته الإلهية إلا أنه ينسب إلى نفسه آلام جسده، لأنه جسده الخاص. وينسب إلى نفسه موت هذا الجسد. "هكذا تألم كلمة الله فى الحقيقة بالجسد"، هكذا نقول فى القسمة فى القداس الإلهى. فكلمة الله أو الله الكلمة مات بحسب الجسد وتألم بحسب الجسد أو بحسب ناسوته،[[11]](#footnote-12) وولد من العذراء بحسب إنسانيته، أى ولد منها جسدياً، فنقول فى التسبحة "أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا" (ثيئوطوكية يوم الإثنين). وحينما تجسد الله الكلمة لم يتغير فى طبيعته الإلهية، فنقول أيضاً فى التسبحة "لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلصنا" (ثيئوطوكية يوم الخميس).

هكذا نقول فى التسبحة، لأن الكنيسة وضعت العقيدة الأرثوذكسية فى تسابيحها وقداساتها. فمن أنكر العقيدة السليمة هو بلا عذر خاصة إذا كان قد رضع لبن الإيمان منذ طفولته. واحسرتاه!!

وأخيراً نقول أن هناك من يتلاعبون بالألفاظ اليونانية لتشويه العقيدة، ولكن ينبغى أن تُفحص هذه الأمور بواسطة متخصصين ذوى عقيدة سليمة.. فمثلاً كلمة j (ثيئوس) اليونانية تعنى "الله" وكلمةj (ثيئوتيس) تعنى "اللاهوت"، وكذلك كلمة j (ثيئوتيتوس)، لأن اللغة اليونانية لها تصريفات كثيرة للكلمة.

نحن نقول أن العذراء والدة الإله j (ثيئوتوكوس)، وكلمة ثيئوتوكوس مكونة من j (ثيئوس) أى "الله" والفعل  (تيكتو) اليونانى بمعنى "يلد"، ومع التصريفات تعنى "والدة الإله"، وممكن أن تستخدم لغوياً بمعنى "والد الإله" أى أنها يمكن أن تستخدم للمذكر والمؤنث.

**ولكننا لا نقول أن العذراء هى والدة اللاهوت** لأن هذا يعتبر تجديف على الله. لدرجة أن القديس كيرلس الكبير قال فى الرسالة الأولى إلى نسطور المسماه الرسالة العقائدية: "لأنه يكون من الجنون أن يقول أحد أو يفكر هكذا"[[12]](#footnote-13) أى من يدّعى أن اللاهوت قد أخذ بدءًا له من العذراء مريم أو أنها قد صارت مصدراً للألوهية، فقال "وهكذا سوف نجد أن الآباء القديسين قد فكروا بهذه الطريقة. ولهذا لم يترددوا فى تسمية العذراء القديسة بوالدة الإله. وهم **لم يقولوا إن طبيعة الكلمة أى لاهوته أخذ بداية وجوده من العذراء القديسة**، بل أن جسده المقدس، المُحيىّ بنفس عاقلة، قد ولد منها، الذى به إذ اتحد الكلمة أقنومياً، يقال عن الكلمة إنه ولد حسب الجسد."[[13]](#footnote-14) وبالطبع هذا الجسد له بداية وهى نفسها لها بداية، أما اللاهوت فليس له بداية.

فالقديس كيرلس عمود الدين فى الوقت الذى كان يحارب فيه جداً لتأكيد لقب الثيؤطوكوس أى "والدة الإله" قال يكون مجنون من يقول أنها والدة اللاهوت. مما يدل على وعيه اللاهوتى.

لكن نسطور فى جهالته قال عن القديس كيرلس ومن يعتقد بعقيدته أنهم يؤلمون اللاهوت وينسبون إليه أنه ملفوف بالخرق البالية.[[14]](#footnote-15) (يقصد عندما قال الكتاب "تجدون طفلاً مقمطاً" (انظر لو 2: 12)، لكنه حتى لم يتحدث بطريقة متأدبة لائقة. ثم من قال أن الأقمطة كانت بالية؟! قد تكون السيدة العذراء قد قمطته بأحسن رداء تملكه. لكن نسطور يريد أن يسخر).

نحن لا نؤلِّم اللاهوت لأن هذه بدعة رفضتها الكنيسة وهى بدعة Theopaschite )الثيئوباسخيت( أى بدعة "مؤلمى اللاهوت".

إن القديس كيرلس قد دافع عن إلوهية السيد المسيح مثلما فعل القديس أثناسيوس الرسولى، ولذلك دعى القديس كيرلس عن حق أنه عمود الدين، واعترف العالم المسيحى كله بقداسته وصحة تعليمه، بركة صلواته فلتكن معنا أمين.

**هل السيدة العذراء هى مصدر اللاهوت؟**

طبعاً السيدة العذراء ليست مصدر اللاهوت وهى لم تلد اللاهوت، كما يدّعون، لأن اللاهوت لا يولد ولا يتألم ولا يُصلب.

إن هناك فرق بين تعبير الله God j (ثيئوس) وبين تعبير لاهوت Divinity j (ثيئوتيس) ولكى نوضّح ذلك فنحن يمكننا أن نقول إن الله (الابن) God the Son قد مات على الصليب (بحسب جسده الخاص) ولكن لا يمكننا أن نقول إن لاهوت الابن His Divinity قد مات على الصليب.

ويشرح القديس كيرلس الكبير فى مسألة ولادة جسد السيد المسيح كيف أننا لا ندّعى أن اللاهوت قد أخذ بدءًا من العذراء مريم ولكن نقول إن الله الكلمة قد أخذ منها ناسوتاً كاملاً وجعله واحداً مع لاهوته وولد منها بحسب الجسد. فما ينسب إلى جسده ينسب إلى شخصه لذلك نقول إنها والدة الإله.

ففى رسالة القديس كيرلس الثانية إلى نسطور وهى الرابعة فى عداد الرسائل من القديس وإليه وهى المسماه بالرسالة العقائدية كتب القديس كيرلس فى الفقرة 7 والفقرة 4 ما يلى:

"لكن فى اتخاذه جسداً ظل كما هو. إن تعليم الإيمان الصحيح يحتفظ بهذا فى كل مكان. وهكذا سوف **نجد أن الآباء القديسين قد فكروا بهذه الطريقة. ولهذا لم يترددوا فى تسمية العذراء القديسة بوالدة الإله (qeoto,kon).** **وهم لم يقولوا إن طبيعة الكلمة أى لاهوته أخذ بداية وجوده من العذراء القديسة**، بل أن **جسده المقدس**، المُحيىّ بنفس عاقلة، قد ولد منها، الذى به إذ اتحد الكلمة أقنومياً، يقال عن الكلمة إنه **ولد حسب الجسد**.".. "فيقال إن الكلمة قد قبل الولادة الجسدية، لكى ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص."

“... but in the assumption of flesh, he remained what he was. The doctrine of the precise faith everywhere maintains this. **We shall find that the holy fathers have thought in this way. In this way, they have not hesitated to call the Holy Virgin the Mother of God (qeoto,kon%. They do not say that the nature of the Word or his divinity took the beginning of being from the Holy Virgin, but that his holy body, animated by a rational soul, was born of her**, united to which [soul and body] in actual fact the Word is said to have been begotten according to the flesh." "...so as to claim as his own the birth of his own flesh.”[[15]](#footnote-16)

إن ما يخص الجسد ننسبه إلى كلمة الله مثل الميلاد والآلام. إننا ننسب غير المحدودية إلى الذبيحة على الصليب، لأن الاستحقاقات الأدبية للكلمة تخص هذه الذبيحة. إن الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة تجمع خصائص الطبيعتين بغير امتزاج. ولم تنهدم خصائص الطبيعتين بسبب الاتحاد ولكن كل هذه الخصائص تنسب إلى كلمة الله المتجسد الواحد لسبب اتحاد الطبيعتين.

إنه اتحاد يفوق الوصف والإدراك ولكنه اتحاد حقيقى لا يمكن أن ينفصل**.** والسيدة العذراء هى معمل الاتحاد كما يسميها الآباء لأنه بداخلها تم هذا الاتحاد الفائق للوصف بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية. فنقول فى ثيئوطوكية يوم الأربعاء من تسبحة نصف الليل "**السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق الذى للطبائع التى أتت معاً إلى موضع واحد بغير اختلاط."**

**ويذكر فى القسمة السريانية أن:** لاهوته لم ينفصل قط لا عن جسده ولا عن نفسه هكذا نؤمن وهكذا نعترف وهكذا نصدق.. واحد هو عمانوئيل إلهنا وغير منقسم من بعد الاتحاد، وغير منفصل إلى طبيعتين.

**ولذلك انبرى القديس كيرلس الكبير مدافعاً عن لقب "والدة الإله" ومفنداً آراء المقاومين له من النساطرة ليس من أجل السيدة العذراء فحسب إنما من أجل مفهوم سر التجسد الإلهى، وقد أيدته فى ذلك الكنيسة الجامعة أى أغلب أساقفة وشعوب الشرق والغرب فى زمانه.**

1. كلمة "سوتير" تعنى المخلص، و"سوتيرلوجياً" تعنى بشان الخلاص. [↑](#footnote-ref-2)
2. لاهوتياً. [↑](#footnote-ref-3)
3. N&PN Fathers, series 2, Vol IV, Athanasius, Letter to Epictetus, par 6. [↑](#footnote-ref-4)
4. Hefele, C.J., vol. III, p. 44, quoting *Socrates, l.c; Schrockh in his Kirchengesh (Bd. 18, S. 235).* [↑](#footnote-ref-5)
5. انظر صفحات (72-77)، وللمزيد انظر كتابنا "المجمع المسكونى الثالث فى أفسس 431م والصراعات العقائدية فى القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح"، 2005، صفحات 23-25. [↑](#footnote-ref-6)
6. PG 77, p. 192A. [↑](#footnote-ref-7)
7. V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, the Senate of Serampore College, Madras, India 1977, p. 246. [↑](#footnote-ref-8)
8. Ibid., quoting *Contra Gr.* I, p. 148. [↑](#footnote-ref-9)
9. St. Athanasius *On The Incarnation of the Word*, St. Vladimir’s Orthodox Theological Seminary, Crestwood, New York, 1982, chapter 13, p.41 [↑](#footnote-ref-10)
10. الترجمة الصحيحة هى "فى الحقيقة" وليس "بالحقيقة" لأن كلمة "خين" فى اللغة القبطية هى "فى"، وأيضاً نقول "فى الحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته" لأن الباء هى باء القسم، والسيد المسيح كان يقول "الحق الحق أقول لكم". [↑](#footnote-ref-11)
11. لأن هناك آلاماً يقاسيها الروح الإنسانى من أمور روحية، والسيد المسيح كحامل خطايا العالم كان متألماً بالروح البشرى وليس بالجسد فقط. [↑](#footnote-ref-12)
12. الرسالة رقم 4 فى عداد الرسائل من وإلى القديس كيرلس وهى الثانية من القديس كيرلس إلى نسطور الفقرة رقم 5. [↑](#footnote-ref-13)
13. نفس الرسالة الفقرة رقم 7. [↑](#footnote-ref-14)
14. انظر صفحة 76 فى هذا الكتيب، وانظر مقتطفات عظة نسطور الموجهة كلياً ضد تبادل الخواص فى كتابنا "المجمع المسكونى الثالث فى افسس 431م" صفحة 24، مقتبساً من المؤرخ هيفيلى.

Cf. Hefele, C.J., vol. III, p.14, quoting *Marins Mercator, l.c., p.782.* [↑](#footnote-ref-15)
15. *The Fathers of the Church, St. Cyril of Alexandria, Letters 1-50* - translated by John I. McEnerney, Catholic University of America Press, Washington D.C., 1985. Letter 4 (second letter to Nestorius) par. 7 p. 41, par.4 p. 40).

Migne, PG 77 p. 48D. [↑](#footnote-ref-16)